المحاضرة الرابعة في البلاغة

الاستعارة (موجز)

أ/قطاف

أنواع من الاستعارة:

1-الاستعارة التصريحية:

وهي التي حذف فيها المشبه وصرّح بالمشبه به، ومن ذلك قوله تعالى: (في قلوبهم مرض)، فقد شبه الله الكفر بالمرض، لكنه حذف الكفر وهو المشبه، وصرح بالمشبه به، وهو المرض. فتحول التشبيه إلى استعارة تصريحية. أصل الكلام: في قلوبهم كفر كالمرض...الاستعارة التصريحية إذن هي إطلاق التصريح بذات اللفظ المستعار.

ومثلها أيضا:

-نسي الطين ساعةً أنه طين. حيث شبه الشاعر الانسان بالطين لكنه حذف المشبه الذي هو الانسان وذكر المشبه به.

ومثلها أيضا: قوله تعالى: (الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور). حيث شبه الكفر بالظلمات، وشبه الايمان بالنور. وهما محذوفان (الكفر والايمان).

-عندي أسد: تشبيه بليغ لأنه لم تذكر فيه أداة التشبيه، ولم يذكر فيه أيضا وجه الشبه. وهي استعارة أصلية لأنّ المستعار اسم جامد. وهي تصريحية كذلك: أي التي يصرح فيها بذات اللفظ المستعار (الأسد)، الذي هو في الأصل مشبه به حين كان الكلام تشبيها، قبل أن تحذف أركانه باستثناء المشبه به، أو بعض صفاته أو خصائصه.

2-الاستعارة المكنية:

وهي تشبيه حذف فيه المشبه به، ويرمز له بشيء من لوازمه. مثل قوله تعالى: (اشتعل الرأس شيبا). شبه الرأس بالوقود أو النار، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو اشتعل، على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة اثبات الاشتعال للرأس.

يقول السكاكي بشأنها: «هي كما عرفتَ أن تذكر المشبه، وتريدَ به المشبه به، دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها. وهي أن تنسب إليه وتضيفَ شيئا من لوازم المشبه به المساوية. مثل أن تشبه المنية بالسبع، ثم تفردها بالذكر، مُضيفاً إليها من لوازم المشبه به ما لا يكون إلا له، ليكون قرينة دالة على المراد، فتقول: "مخالب المنية نشبت بفلان" طاوياً لذكر المشبه به، وهو قولك الشبيهة بالسبع»[1].

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، 378، 379.

3-الاستعارة الأصلية والاستعارة التبعية:

فأما الأصلية فهي «أن يكونَ المستعار اسم جنس، كرجل، وأسد، وقيامٍ وقعودٍ»[1]، وأما التبعية فهي «ما تقعُ في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف»[2]. وسيأتي شرحهما في الصفحات اللاحقة.

4-الاستعارة المرشحة والتجريدية والمُطْلقة:

يقول السكاكي بشأنها: «اعلم أنّ الاستعارة في نحو: عندي أسد، إذا لم تعقب بصفات أو تفريح كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة، وإنما يلحقها التجريد أو الترشيح إذا عقبت بذلك ، ثمّ إنّ الضابطَ هناك أصل واحد، وهو أنّك عرفتَ أنّ الاستعارة لا بُدّ لها من مستعار له ومستعار منه، فمتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له، أو تفريع كلام ملائم له، سُميت مجردة، ومتى عقبت بصفات أو تفريع كلام ملائم للمستعار منه، سميت مرشحة»[3].

إذن، يتدخل السياق، والحال هذه، في تحديد نوع الاستعارة، إن كانت مرشحة أو مجردة، فإن قلنا: "ساورتُ أسدا هصورا"، فنحن أمام استعارة مرشحة، لأنّ هصورا اسم من أسماء الأسد (المستعار منه) أو بالأحرى صفة من صفاته، فإن ذُكرت دلّت عليه.

وقد جاءت كلمة "هصورا" لدعم المعنى الأول التصويري، وأخذت من الحقل الدلالي نفسه للكلمة المستعارة. إنّها، بحق، كفيلة بأن تُديمَ وتُقوي موقع المعنى الأول، وبأن تخلق توتراً جديداً بين المعنى (الأسد) ومعنى المعنى (رجل شجاع)، ويعملُ هذا كله على تقوية الاستعارة، ويكون سبباً في خلق استجابة قوية لدى المتلقي. ولأمر ما فضّل القدماء الترشيح على غيره[4].

وأما في: "ساورتُ أسداً شاكي السلاح" (الشاكي والشائك: ذو الشوكة والحد)، فنحن أمام استعارة مجردة.

بصيغة أخرى: الاستعارة المرشحة هي التي اقترنت بما يناسب المستعار منه. وسميت مرشحة لأن ما اقترن بها يقوي المستعار منه بزيادة قرائن لتنشيط الذهن على إرادة المعنى المجازي الذي استعمل اللفظ للدلالة عليه.

قال بشار بن برد:

أتتني الشمس زائرة---ولم تكُ تبرح الفلكا

جاء الشطر الثاني ترشيحا للاستعارة، لأنه استعار لفظ الشمس لزائرته من النساء، فهي استعارة تصريحية مرشحة. وهذا من أبلغ أنواع الاستعارة.

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، 380.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، 385.

[4] بتصرف عن: محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ص125، 126.

أمّا الاستعارة المطلقة فهي الخالية من الترشيح، ومن التجريد كذلك. أي لم تقترن بأوصاف أو تفريعات ممّا يلائم المستعار منه أو المستعار له، باستثناء القرينة التي صرفت عن إرادة المعنى الأصلي. مثل: أمسك رجال الأمن برأس الحربة. وفيه استعارة رأس الحربة لرئيس الشر والفساد. وفيها كناية، فهي استعارة مكنية كذلك. رأس الحربة كناية عن رئيس العصابة. والحربة سلاح يدوي يشبه الرمح، ورأسه حاد ناتئ يُغرز في العدو.

وتجدر الإشارة، ههنا، إلى أنّ هذه الأنواع من الاستعارة؛ أي المرشحة والمجردة والمطلقة، لا تحظى بالتقدير نفسه عند البلاغيين، إذ يفضلون الترشيحية بدءا، فالمطلقة، فالمجردة، يقول المراغي: «الترشيح أبلغ وأقوى من الاطلاق والتجريد، لاشتماله على تقوية المبالغة وكمالها. فإنّ المحور الذي يدور عليه الترشيح إنما هو تناسي التشبيه وادعاء أنّ المشبه هو المشبه به نفسه، وكأنّ الاستعارة غير موجودة.

فالترشيح يقوي الصورة، وفي "ساورتُ أسدا" وأنت تقصد رجلا شجاعا ستلاحظ قدرا محددا من التوازن بين المعنى ومعنى المعنى. هذا التوازن يختلف من مثال لآخر، فإن اتبعتَ كلمة "الأسد" بكلمة "هصورا" فإنك ستقوي صورة الأسد، أي يُستحضر بشيء من القوة والامتلاء، صورة تكون زائدة على المعنى الذي يراد توصيله. هذا الالحاح على "الصورة الزائدة" هو العلة في استحسان المتلقي لها[1].

والمطلقة أبلغ من التجريد، لأنّ التجريد يُذكر بالتشبيه فيضعفُ دعوى الاتحاد»[2]، فـ "شاكي السلاح" في المثال السابق أضعفت صورة "الأسد"، لأنها تمنع أو تعيق استحضار صورة الأسد كاملة بقوتها ، ولذلك كانت الاستعارة المجردة أقلّ الأنواع تأثيرا. و«المطلقة أفضل من التجريد لأنها على الأقل تترك للقارئ قدراً من الحرية والخيال، لا تتركه المجردة، ولكونها لا تتدخل لمحاولة تهميش الصورة الزائدة أو باختصار الصورة[3].

الاستعارة المجردة إذن أقل أنواع الاستعارات فائدة لانها تقرب الاستعارة من التشبيه أي من الشبه والفرق. أما الترشيح والتصريح فيقربانها من اتحاد المشبه والمشبه به.

5- الاستعارة في المركبات الإسنادية:

5-1-الاستعارة الاسمية:

وهي استعارة أصلية؛ أي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا أو غير مشتق، و« يكون معنى التشبيه داخلا في المستعار دخولا أوليا»[4].

ومن الاستعارة في الأسماء:

-الكمان ذاكرتي البعيدة.

---

[1] بتصرف عن: المرجع السابق، ص128.

[2] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص332.

[3] محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ص128.

[4] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص87.

-البياض قاس.

-الحياة ظالمة.

-التفكير خطيئة.

5-2-الاستعارة الفعلية:

استعارة تبعية، والتبعية- كما أسلفنا- ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه اسما مشتقا (كاسم الفاعل، الصفة المشبهة، اسم المكان، اسم المفعول، اسم الآلة، اسم التفضيل، اسم الإشارة)، أو فعلا.

وتأتي الاستعارة لتتخطى العلاقة الاسنادية القائمة بين عنصري هذا المركب، فتنسبُ الفعل إلى غير فاعله الحقيقي[1].

أ-فعل مبني للمعلوم + فاعل: ومثاله :

-طمأنتني ابتسامتها التي نزلت على وجهها.

-لقد تواطأ ضدنا الكذب ونار الفتنة المحسوبة.

-انسحب البحر من عينيّ .

-يقتل الجور والفجور العباد

ب-فعل مبني للمجهول+ نائب فاعل: ومثاله:

-تباد البلاد.

6-الاستعارة في المركبات الإفرادية:

6-1-المركب المفعولي:

ويتركب من «فعل+ مفعول به»[2]، إذ من الأفعال ما لا يستغني عن مفعول به ؛ لأن الحدث الذي يدل عليه لا يكتمل إلا بذلك، فلا بدّ من إيقاع الفعل على مفعول به مناسب[3]. وقد يحدث أن يوقع المتكلم الفعل على غير مفعوله الحقيقي فتنتجُ الاستعارة [4].

وبؤرة الاستعارة في هذا المركب هي المفعول به، وهو وحده لا يُكوّن جملة؛ بل لا بد من وجود جملة إسنادية تكون إطارا للاستعارة، هذه الجملة هي الجملة الفعلية المكونة من الفعل والفاعل [5].

مثل:

---

[1]المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2] المرجع نفسه، ص43.

[3]عشري محمد علي، الصور الاستعارية في القصيدة العربية المعاصرة، ص167.

[4]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

-أصادر خوفي.

- أحمل...صوتها.

-تقتحم هدوئي.

6-2-المركب الوصفي:

ويتشكل المركب الوصفي من اسم (موصوف/ منعوت)+ اسم (صفة/ نعت)، والنعت كما هو معروف«يطابق المنعوت مطابقة تامة في الحالة الاعرابية ، رفعا أو نصبا أو خفضا، و يطابق منعوته في التذكير والتأنيث، وفي الافراد والتثنية والجمع، وفي التعريف والتنكير»[1].

ومثال الاستعارة في المركب الوصفي قول الشابي في قصيدة (يا شعر):

ما للمنية لا ترقُّ على الحياة النائحة

من ذلك أيضا:

-تحت قيظ الشمس العسيرة.

-الدهشة الجميلة

-إحباطاتنا وأشواقنا الضائعة.

-الموج المجنون

6-3-المركب الإضافي:

المركب الإضافي مركب اسمي يتمُ فيه ربط المضاف، وهو الاسم المحوري في هذا التركيب باسم مجرورٍ بعده، ويكون الربط بينها من خلال فقدان التنوين في الأول أو النون إذا كان مثنى أو جمعاً، ومن خلال جرّ الثاني[2]. و « تستلزم هذه العلاقة تجانس النسبة بين هذين المتضايفين، نحو : كتاب الأستاذ، حديقة الورود، وإذا دخلت الاستعارة في هذا التركيب الإضافي ، فأول ما تعمد إليه هو خلخلة هذه النسبة المتجانسة بين المتضايفين، بل هدمها وإعادة تشكيلها لتسمو من تركيب عادي خامل إلى تركيب صُوَري حافل بالعلاقات الموحية»[3].

ومثله قول البارودي في قصيدة (رضيت من الدنيا):

أبى الدهر إلا أن يسود وضيعه---ويملكُ أعناقَ المطالب وغده[4]

6-4-المركب الحالي:

---

[1]صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص56.

[2]محمد عبد اللطيف حماسة، بناء الجملة العربية، ص203.

[3]يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة، منظور مستأنف، ص147.

[4]سعد مصلوح، في التشخيص الأسلوبي الاحصائي للاستعارة، ص44.

الحال فضلة، وهو وصف يدل على هيئة الفاعل أو المفعول (صاحب الحال)، ويتكون المركب الحالي من جملة فعلية– أو اسمية– وحال.

و«يشبه نحاة العربية الحال، في علاقته بالفعل، بالمفعول به، لأنه وصف من أوصاف الفاعل أو المفعول في وقت وقوع الفعل منه»[1].وقد تجاوز الحال المفردة علاقة الملابسة الرابطة بينها وبين صاحبها، فلا تصلحُ لتدلّ على هيئة للفاعل أو المفعول على سبيل الحقيقة ، إنما تدلّ على هيئة صاحبها على سبيل الاستعارة[2] .

ومثله :

– جاءني بوجه منكسر.

–كانت القاعة تهتز .

–بقيت القاعة واجمة.

–مرت الأسماء في فمها دافئة هادئة.

–تمتمت وهي ترشق عينيها باستقامة.

–كانت الأنوار تنزلق على الماء.

6–5–المركب الظرفي:

الظرف كلمة تدلُّ على معنى صرفي عام، هو الظرفية الزمانية أو المكانية، وهو من حيث المبنى جامد لا يتصرّف، وتعتبر الظروف قسما أخر غير الأسماء والحروف والأفعال، لما لها من مميزات شكلية ووظيفية تنفردُ بها عن بقية أقسام الكلم[3].

ويستخدم الظرف في اللغة –كما يدلّ عليه اسمه –لبيان الظروف التي تحدث فيها الأفعال، والتمييز بين كيفيات وقوعها أو توقيعها[4].

–ظرف الزمان:

–ضيّعت موعدا حاسما مع الحياة

–بحر الأسبوع.

–ظرف المكان:

–أشتهي أن أكتب داخل الصمت والعزلة.

–وأنا على عتبة التلاشي.

---

[1]محمد عبد اللطيف حماسة، بناء الجملة العربية، ص154.

[2]عشري محمد علي، الصور الاستعارية في القصيدة العربية المعاصرة، ص169.

[3]فاضل محمد الساقي، أقسام الكلام العربي، ص176.

[4] عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، ط6، دت، ص91.

-يتأملون تفاصيل القيامة من وراء زجاج النوافذ.

-المدينة الذي عذبتني... تبدو الآن مستسلمة تحتي.

-مدينة تعوم على الماء.

-الرغبة القصوى للنوم داخل البياض.

6-6-المركب الندائي:

يتركب أسلوب النداء من حرف النداء والمنادى، والمنادى قد يكون اسما أو صفة، والعلاقة التي تربطُ بين أداة النداء والمنادى هي علاقة تضام، فيدخلُ حرف النداء على المنادى العاقل الذي يستجيبُ لداعيه أو على صفة من صفاته[1].

وقد يدخلُ حرف النداء على غير العاقل فتنشأ الاستعارة؛ لأنّ غير العاقل لا يُنادى على سبيل الحقيقة، لكن لمّا أُنزلَ منزلة العاقلِ نُودِيَ مثله[2].

ومن النداء لغير العاقل :

-أيتها البلاد ...

وهناك أنواع أخرى من الاستعارة في المركبات الإفرادية، بيدَ أننا اكتفينا بهذه.

[1] المرجع السابق، ص173.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.